

صاحب الجلالة
يوجه خطاباً إلى شعبه بمناسبة ذكرى 20 غشت

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

منذ تسع وعشرين سنة في مثل هذا اليوم ونحن نتلاق ونلتقي ونتحاور لنحمد الله سبحانه وتعالى ان جعل في طي النقمة نعمة، ولنتذكر شيئاً مما مررنا به من احداث، لأن الذكرى من تعاليم الاسلام، «وذكر فان الذكرى تنفع المومنين».

شعبي العزيز :

لقد اطلقنا على احتفالنا بهذا اليوم اسم ثورة الملك والشعب، ونحن في المغرب حينما نستعمل لفظ الثورة نستعمله بمعنى الانتفاضة، لا نستعمله بمعنى الفوضى، ولا نستعمله لتغيير ما هو ثابت أو تقليص ما تمَّ ظلُّه وأفاض على الناس خيراته وحسناته.

فثورة الملك والشعب في الحقيقة هي الانتفاضة لا الفوضى، واننا نرى مع الأسف بعض الحمقى والجاهلين يخلطون بين ما هو عمل ثائر بمعنى انتفاضي، وبين ما هو عمل فوضوي، فثورتنا هي الانتفاضة، الانتفاضة ضد الباطل، الانتفاضة ضد الاستعمار والاستعباد، الانتفاضة لاظهار ما حبا الله به هذا الشعب من حسن الوفاء وكريم الأخلاق، ذلك انك شعبي العزيز حينما رأيت ملكك محمد الخامس ــ رحمة الله عليه ــ ضحى ابيت الا ان تجيب عن تضحيته بتضحيتك، وحينما رأيته نفي ابيت ــ شعبي العزيز ــ الا ان تقول له وهو على آلاف الكيلومترات : لست وحدك في المحنة، لست وحدك في العزلة، لست وحدك في الامتحان، بل نحن كلنا في المغرب رجالا ونساء شباباً وشيباً نقاسمك منفاك ونقاسمك امتحانك، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على التجاوب المستمر الذي طبع الله به تاريخك أيها الشعب العزيز وتاريخ بلدك، فعلينا أن نرى ان تاريخ بلدنا منذ ان وجد المغرب كمغرب قرنين فيما قبل الاسلام وأربعة عشر قرنا فيما بعد الاسلام كان دائماً حواراً مستمراً يقتضي من الجانبين الرعية والملك أن يكونا في مستوى واحد، وحينما ينحدر ذلك المستوى وبالأخص من جهة الحاكمين ترى ــ شعبي العزيز ــ أن الله سبحانه وتعالى يلهمك فتختار لنفسك أحسن الطرق وأحسن الأسر لتكون تلك الأسرة الصغيرة هي الحامية للأسرة الكبيرة.

وهكذا تعاقبت على الأجيال الماضية أسر وأسر من ملوك المغرب ما منها الا وتجد في سجل التاريخ معالم مجدها وايمانها بمأموريتها وتضحيتها في سبيل القيام بواجبها.

نعم، تطرأ على بلدنا ــ كجميع البلاد ــ طوارىء القوة وطوارىء الضعف، ولكن نعمة الله سبحانه وتعالى التي أريد أن أبرزها هذه الليلة وهي انه كلما اقتربت تلك الآونة الدقيقة جدا التي يجب فيها الاختيار والتي يكون فيها الاختيار حاسماً وهب الله سبحانه وتعالى الشعب المغربي وقادته القوة لينتفضوا وليقوموا كرجل واحد حتى لا ينقطع الحوار بين الحاكم والمحكوم من جهة وحتى لا ينزل المستوى بين المخاطِب والمخاطَب.

فإذا نحن رجعنا إلى 20 غشت 1953 نجد أنه لم يكن وليد يومه ولا وليد أمسه بل هو قبل كل شيء وبعد كل شيء، تراكم من الظلم من الاستعمار ومن الاستعباد، ولكن كذلك تراكم من الغراميات التي كانت بين محمد الخامس — طيب الله ثراه — وبين شعبه العزيز، تراكم من المناجاة الظاهر منها والخفي، المباشر منها وغير المباشر، وابتدأت تلك المخاطبة، وابتدأت تلك المناجاة غداة تربعه على عرش أسلافه الكرام، وانني اذكر هنا ما يقول الرجال والنساء الخادمون والخادمات الذين خدموا جدي مولاي يوسف رحمة الله عليه : انه حينما جاءت قضية الظهير البربري كان هناك «خزين» لكهرباء القصر، فأمر ان تقطع التيارات الكهربائية على القصر الملكي بالرباط مدة عشرة أيام، وهكذا فتح محمد الخامس عينيه، في النور وفتحهما في الظلام، فكأن الله سبحانه أراد بهذا العمل أن يربيه أن يقول له لا نور لقصرك إذا كان النور لا يخيم على بلدك، وإذا كان الظلام سيغطي وحدة أمتك، تلك الوحدة التي تتجسد في مغربيتها واسلامها.

ولعل هذا الدرس الذي أخذه والدي رحمة الله عليه وهو اذ ذاك ابن سبع عشرة سنة، هو الذي جعله سنة 1933 يفعل ما فعله في فاس ويقصر مقامه في العاصمة العلمية، ويجعل من صلاة الجمعة المشهورة أول لقاء غرامي بينه وبين الجيل الذي كان يعايشه، ليظهر لهم هو مرة أخرى انه البطل ابن الأبطال.

وسارت الأحداث وارادت مشيئة الله ان يساير كذلك شخصيات تلك الأحداث أو البعض منها، وجاءت سنة 1944، وجاءت المطالبة بالاستقلال وجاءت سنة 1952 وإلقاء القبض على جميع الموظفين والحركة السياسية وجاءت أحداث غشت والملك في قصره في عزلة تامة وجاءت احداث غشت 1953 والملك في قصره في عزلة تامة، وهنا أريد ان اذكر بين قوسين حادثا — ولدي ما احكيه في هذا الباب — ايام كانوا يقدمون برنامج سمر كنت اردت المشاركة في احدى حلقاته، الا انني رأيت من الأحسن انه يجب علي ان ادون واكتب هذا منفرداً، مازلت اذكر انه في سنة الف وتسعمئة وواحد وخمسين بعد محاولة سيغوليبه قبل 26 فبراير طلب السيد الحاج احمد بلافريج شفاه الله مقابلة والدي رحمة الله عليه فاقتبله والدي في المنزه، وقال لي : دعنا وحدنا واترك الباب مفتوحاً وانظر واسمع، جاء الحاج احمد شفاه الله في بذلته الأوربية وطربوشه على عادته، جاء وقبل ركبتي سيدنا، وجلس على ركبتيه وقال له : ياسيدي اذا اراد الفرنسيون ان تصرح ضدنا صرح، واذا طلبوا منك ان تقول مارقون من الدين قل، وزاد قائلا اذا بقي الرأس لا حاجة لنا بالعمامة، المهم هو ان ملك المغرب يبقى على عرشه، لأنه لا خلاص لهذه الأمة من الاستعمار دون مشروعية وطنية، وكان يبكي وكان والدي — رحمه الله — يبكي كذلك واجابه قائلا : لا، أنا لا يمكنني نهائياً ان اخرج طائفة من المغاربة من الدين، لأنه لا ذنب لهم الا انهم يريدون الحرية والاستقلال.

وهكذا شعبي العزيز ترى ان 20 غشت 1953 ما هو الا تراكم للأحداث ومن مناجاة ومن لقاءات بين الملك وشعبه، وفي اليوم الذي كانت ستهيأ فيه وثيقة الاستقلال ارسل المحررون الوثيقة لسيدنا رحمه الله، والسيد محمد الغزاوي اذ ذاك في الدار البيضاء سنة 1944 ارسلوها له خفية ليقرأها ويعيد نظره فيها، وهذه كذلك من الأحداث التي أراد الله أن أسايرها وأعايشها فكان جواب محمد الخامس اذهب وقل لهم : لا ينفع اليوم مع الفرنسيين الا طلب الاستقلال، نحذف لفظ الاصلاح ونطالب بالاستقلال، فيوم 20 غشت هو انتفاضة، انتفاضة نجحت، ليست ثورة لا، لأن المغرب في ثورة مستمرة مغرب الأمس مغرب اليوم ليسا متشابهين، ومغرب الغد ليس هو مغرب اليوم لأن المغرب عاش ثورة في جميع الميادين وفي جميع النواحي، سواء في الميدان الداخلي أو في الميدان الاسلامي أو في الميدان العربي، ولكن المغرب يعرف كيف ينتفض ويعرف كذلك اختيار وقت الانتفاضة.

وكنت أظن أن انتفاضة أو ثورة الملك والشعب بعدما رجعنا من المنفى كانت تتويجاً، وانه لم يبق لنا بعدها الا ان نخوض غمار الجهاد الأكبر كما قال والدي رحمة الله عليه بعدما انتصرنا في الجهاد الأصغر، ولكن الله سبحانه وتعالى وكأنه يريد أن تبقى جذوة الوطنية حية نيرة في أفئدتنا وفلذات أكبادنا وحفدتنا أراد الله سبحانه وتعالى ان يعطينا فرصا أخرى ليرى هل سننتفض أم سنبقى قاعدين مع القاعدين.

وهكذا جاءت حرب اكتوبر تلك الحرب التي أعادت للأمة العربية وللجندي العربي عزته وكرامته، جاءت والمغاربة بينهم في الجولان وفي سينا، ولم تمض سنة ونصف بعدها حتى جاءت قضية الصحراء، وانتفض المغاربة وساروا مضحين بمصيرهم وبحياتهم، سلاحهم القرآن الكريم والعلم المغربي المقدس.

وأتت المسيرة الخضراء بالنتائج التي بها جاءت، ولكن الله سبحانه وتعالى كأنما كان يقول لنا : انني كلما احببت عبداً امتحنته «ليبلوكم أحسن عملا».

فامتحانات الله بالنسبة لي وبالنسبة لك شعبي العزيز ما هي الا دليل آخر متجدد على مكانتنا عند الله، لأننا أولا : مسلمون، وثانياً : نصوم رمضان، وثالثاً : نعمر مساجد الله، ورابعاً : نقرأ كتاب الله وخامساً : نتوكل على الله.

وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكيد لنا الكائدون ويحسدنا الحاسدون واراد لنا امتحاناً يقتضي منا النفس الطويل والصبر والمثابرة، واراد لنا أن نخوض حرباً أخرى لا للتحرير لأن الأراضي محررة وأقولها الأراضي محررة ومن قال غير ذلك فهو كذاب اشر، بل لاستتباب استكمال الوحدة الترابية.

ومنذ سنة 1975 وانت شعبي العزيز دون توتر دون قلق بطواعية بل بابتسامة المضحي والمستشهد وانت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي نخوض جميعاً هذه الحرب التي فرضت علينا والتي تذهب بأبنائنا وفلذات أكبادنا وبخيراتنا لنظهر مرة أخرى ان المغرب بلد انتفاضة.

شعبي العزيز

لقد أظهرت منذ تاريخك القديم — وانا شغوف بالتاريخ — أنك شعب يميز بين الاجتهاد في المنهجيات والاجتهاد في المقومات، الشيء الذي جعل منك شعباً حياً يجيب اذا ناديته ويقوم اذا طلبت منه القيام ويسير اذا امرته بالسير، فالمنهجية باب للاجتهاد، على شرط أن تكون مبنية على شروط الاجتهاد، الاختلاف في المنهجية هذا يدل على ان المادة الخام هي الرجل، البشر المغربي يمكن أن يعتمد عليه، لأنه يحاور، فلا هو يثور ويصعد الى الجبل، ولا هو يثبت حتى يسكت، لا، هو يحاور بالعقل، ويحاور دائماً أن يكون متعقلا في الثورة وهكذا دائماً شعبي العزيز عرفت كيف تعمل الفرق بين الخلاف في المنهجية والخلاف في المذهبية، فلذا انت تعلم حق العلم ما هو الاجتهاد وما هو شق عصا الطاعة على الجماعة واراد بعض الناس ان يمتحنوك في تمييزك بين المنهجية وبين المذهبية، وتسلطوا على صحرائك وظنوا الحرية واطار الديمقراطية الذي تعيش فيه سيفتح لك باب الفوضى وانك ستخلط بين المنهجية وحرية المنهجية وبين المذهبية، ولكن الله سبحانه وتعالى رد كيدهم في نحرهم، واظهرك شعبي العزيز مرة أخرى شعباً عاقلا تميز بين ما هو اساسي، وبين ما هو مذهبي لا يقبل التشكك ولا يقبل التردد.

فاذا نحن شعبي العزيز قررنا في هذا اليوم مثلا ان نرفع أكفنا الى الله لنطلب منه شيئاً مما يطلبه المسلمون ففي خاطري دعاء واطلب منك شعبي العزيز ومن عشرين مليون من المغاربة الذين يشاهدونني أرجو من الله

سبحانه وتعالى الا يحرمنا من مثل هذه الامتحانات ارجو من الله سبحانه وتعالى الا يجعلنا كالذين قال فيهم الشاعر : واقعد فانك انت الطاعم الكاسي، ارجو الله سبحانه وتعالى ان يسبغ رداء الطمأنينة والسلم والأخوة والتسامح والتسالم والتضامن، ولكن في آن واحد أرجوه سبحانه وتعالى الا يحرمنا من امتحاناته التي عودنا ان يجعلها في آن واحد امتحانات جمال وامتحانات جلال.

وما دمت شعبي العزيز متمتعا بهذا التمييز المهم التاريخي الذي هو ضروري بين المذاكرة والنقاش في المنهجية والوقوف صفاً واحداً ثابتاً في المذهبية لا أخاف عليك من الامتحانات ولن أخاف عليك من الامتحانات بل أطلب الله سبحانه وتعالى ان يكرر امتحاناته علماً منا جميعاً انه عودنا الجلال والجمال.

شعبي العزيز

ان 20 غشت 1953 كان ليلة يوم عيد الأضحى، وفي ذلك اليوم لم يضح أي مغربي تضامناً معنا، واليوم شعبي العزيز مرة أخرى تضامناً مع الضعفاء وشكراً لله على ألطافه الخفية، تلك التي تجلت في أمطاره الغزيرة فما رجعنا من مصلانا بعد يومين حتى أفاض الله الخير العميم والفضل الكريم أرجو منك مرة أخرى ألا نضحي هذه السنة، لا يمكنني ان آمرك بعدم اتباع السنة النبوية أبداً وأنا أمير المومنين، جدي وأقولها باعتزاز وتواضع جدي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين املحين اقرنين بيده الشريفة، ولكن وقع لجدي صلى الله عليه وسلم انه لم يضح، ففي احد الأعوام لو لم يضح له سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لما ضحى، فاذا نحن امسكنا عن الأضحية هذه السنة فسنكون ركزنا حقيقة ثورتنا الحيوانية على أسس صحيحة، ولكن عادتي تعرفني انني أحرص الناس على الحياة الأسروية أنت تعرف وفسرت لك شعبي العزيز ما هي قيمة حفلة عيد الأضحى عند الناس تجتمع فيها العائلة ما بين ستة أيام وسبعة أيام حول الأضحية ويلتقي الناس وهي فرصة كذلك لنسائنا وشاباتنا ليتعلمن الطبخ.

فلهذا لا أريد أن أحرم الأسر من ذلك التجمع ومن ذلك الالتئام ولهذا سأرى مع الحكومة انه في يوم عيد الأضحى ان شاء الله سيعمل صندوق الموازنة عمله، فهو دائماً يعمل عمله في الزيت وفي السكر وفي الشاي وفي عدد من المواد، في ذلك اليوم سوف يعمل صندوق الموازنة عمله حتى يكون مثلا ثمن اللحوم اما بالنصف واما بالثلث او بالثلثين، المهم حتى اذا لم تضحوا فسيكون على الأقل في امكان من يريد شراء رأس يبخره أو ان يعد مشوياً وان يعد ما اراد فجميع البيوتات ستفرح حتى الضعفاء منهم.

ولي اليقين انه بعملنا هذا سنظهر اننا شعب كريم مضياف فكل واحد يعرف اننا شعب كريم ولا اريد أن يسمع عنا أننا لم نطبخ في بيوتنا، حتى الفقير منا لا يرضى بذلك، ولكن للضرورة أحكام.

فاذن مرة أخرى كما قلت لك شعبي العزيز لا يمكنني أن أواجه سنة جدي النبي صلى الله عليه وسلم أو أعارضها ولكن من واجبي كذلك النصيحة فكما انه هناك السنة، والسنة المؤكدة فلن أقول لك ان هذا نهي ولكن سأقول لك ان هذه نصيحة مؤكدة، نصيحة مؤكدة هذه السنة أيضاً لن نضحي والله سبحانه وتعالى سيستعمل هو بنفسه صندوق موازنته، وانه سيثيبنا على اختياراتنا الاجتماعية الموجودة بين طبقات شعبنا حتى اذا انتفضنا وخرجنا وبرزنا لامتحان تاريخي كالامتحانات التي مررنا بها تكون الصيحة واحدة بقوة واحدة وعزيمة واحدة وثبات واحد.

ولا أريد أن أختم كلمتي هذه شعبي العزيز دون أن أذكر تلك الآية التي قرأها والدي رحمة الله عليه



حينما رجع من منفاه الى المغرب فأقول : «الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور».

وهنا اذهب عنا الحزن الماضي للمستقبل لتحقق الوقوع، واستعمل هنا اذهب عنا الحزن ايماناً مني ان الله سبحانه وتعالى سوف يثيبنا على استشهادنا، وسوف يثيبنا على حسن نياتنا، وانه سبحانه وتعالى سوف يتغمد برحمته شهداءنا الأقدمين وشهداءنا اليوميين، علماً منه سبحانه وتعالى اننا لا نريد الا نصرة كلمته وان نعيش في ظل سنة نبيه، «وكان حقاً علينا نصر المومنين».

والسلام عليكم ورحمة الله.

الجمعة 30 شوال 1402 — 20 غشت 1982